مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وبعد :

فالتاريخ هو دراسة الماضي؛ ودراسته ضرورية لفهم الحاضر، وإلقاء الضوء على ما قد يحدث مستقبلاً. فدراستنا لأي علم من العلوم تبقى ناقصة غير مكتملة؛ ما لم ندرس نشأة ذلك العلم، وتطوره عبر السنين.

والتربية عملية يتم من خلالها توجيه نمو الفرد، أو مجموعة من الأفراد، من قبل شخص، أو مؤسسة؛ بهدف إيصال كل واحد إلى كماله الإنساني. فالتربية عملية مقصودة؛ تخطط لها المؤسسات التربوية، وتحدد لها الأساليب التعليمية التعلمية الملائمة. ومن أبرز المؤسسات التربوية : المسجد، والمدرسة، ووسائل الإعلام المسموعة، والمرئية.

لقد كان الرسول محمد ﷺ المعلم الأول للمسلمين، فمنذ أن نزل عليه الوحي، أخذ يدعو الناس إلى الدين الجديد، وينشر تعاليمه بينهم. وبعد أن استقر الرسول الكريم ﷺ في المدينة المنورة، تولى بعض الصحابة رضوان الله عليهم مهمة تعليم الناس بمكة المكرمة، وأصبح المسجد الحرام مقراً لحلقات التدريس، وسيبقى هكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فالتعليم في المسجد الحرام بدأ منذ العهد النبوي، أما المدارس فقد أخذت في الظهور في مكة المكرمة منذ القرن السادس الهجري، واستمر وجودها منذ ذلك التاريخ.

وقبل ما يقرب من نصف قرن، أخذ التعليم في مكة المكرمة يمر بتطورات جذرية وسريعة؛ وذلك بعد أن دخلت في الحكم السعودي. ففيها ظهر أول معهد في المملكة العربية السعودية لتخريج المعلمين والقضاة؛ وهو **المعهد العلمي السعودي**، كما أنشئت بها أول مدرسة ثانوية تعد الطلاب للالتحاق بالجامعات في الخارج، وهي **مدرسة تحضير البعثات**. وانتشر

التعليم فيها، ووصل إلى كل حي من أحيائها. وتشرف على المؤسسات التربوية فيها جهات متعددة، هي : وزارة المعارف، ووزارة العمل والشؤون الاجتماعية، والرئاسة العامة لتعليم البنات، والرئاسة العامة للمعاهد والكليات، إضافة إلى القطاع الأهلي.

ومع أن الحركة التعليمية بمكة المكرمة لها جذور تعود إلى أكثر من ألف عام؛ إلا أنها لم تلق العناية الكافية من المؤرخين؛ إذ لم يظهر مؤلف شامل يعنى بنشأة التعليم وتطوره. فكتاب ناجي معروف المسمى **مدارس مكة** ــ وهو الكتاب الوحيد الذي كرس لتاريخ التعليم بمكة لمكرمة ــ لم يبحث إلا في المدارس التي ظهرت قبل نهاية القرن العاشر الهجري. وقد أغفل المؤلف الرجوع إلى بعض المصادر المهمة المتصلة بالفترة التي أرخ لها؛ ولهذا جاءت معلوماته عن تلك المدارس غير كاملة.

أما الكتاب الحالي فهو أول دراسة شاملة للحركة التعليمية في مكة المكرمة، وهو يبحث في تطور التعليم منذ بزوغ نور الإسلام وحتى عام ١٣٩٢ هـ الموافق ١٩٧٢م. وقد ارتبطت فكرة تأليف هذا الكتاب بتدريس طلاب السنة الثالثة ــ تخصص التربية وعلم النفس مقررا في الوسائل التعليمية. فقد كلفت الطلاب بأنشطة عملية عديدة، منها : القيام بزيارات ميدانية إلى المدارس؛ بهدف معرفة مدى توافر الوسائل التعليمية فيها. وحددت لكل طالب خمس مدارس يقوم بزيارتها، وتدوين ملاحظاته فيما يتعلق بالمبنى المدرسي، والوسائل التعليمية، والنشاطات غير الصفية التي يزاولها الطلاب. كما زودت كلاً منهم باستبانة؛ بهدف معرفة رأي المعلمين بأساليب الثواب والعقاب المتبعة في المدارس. ونتيجة للمعلومات التي حصل عليها الطلاب ونوقشت في الصف؛ تولد لدي دافع قوي لتأليف كتاب عن التعليم في مكة المكرمة. وازداد الدافع للتأليف بعد زيارة مكتبة الحرم المكي،

والاطلاع على بعض الكتب والمخطوطات القيمة. وقد كان من فضل الله تعالى علي أن أسهم في التعريف بالحركة التعليمية في هذا البلد الأمين من خلال المؤلف الحالي. وقد لقيت في أثناء جمع المعلومات تشجيعا كبيرا من المربين الذين أتيحت لي فرصة مقابلتهم. كما أن عددا من طلابي قدموا لي عونا كبيرا؛ فقد يسروا لي زيارة المدارس المنتشرة في شعاب مكة المكرمة، فجزاهم الله كل خير.

لقد اعتمدت في عملي هذا على مصادر متعددة، هي :

١) الملاحظة الشخصية : فقد تسنى لي أثناء إقامتي بمكة المكرمة منذ عام ١٣٨٧هـ الموافق ١٩٦٧م زيارة بعض المدارس الحكومية، والأهلية.

٢) المقابلة : فقد اتصلت بالعديد من رجالات التربية والتعليم. وقد أمدني معظمهم بالمعلومات التي طلبت. ولكن عددا قليلا ممن قابلتهم امتنعوا عن ذلك، وأذكر من هؤلاء مرب نصحني عند زيارتي الأولى بضرورة ترك الكتابة في هذا الموضوع؛ بدعوى أن تاريخ مكة التعليمي ــ حسبما قال ــ مظلم ، والكتابة فيه قد تسيء إلى النهضة التعليمية التي تعيشها مكة المكرمة حالياً. وهذا فهم خاطئ لمفهوم التاريخ؛ فنحن مطالبون بدراسة الماضي؛ حتى لو كان ذلك الماضي على غير ما نريد.

٣) الكتب، والصحف، والنشرات المطبوعة، وبعض المخطوطات الموجودة في مكتبة الحرم المكي. وهذه المصادر مثبتة في آخر الكتاب. وقد لاحظت أن مؤلفات المؤرخ الفاسي هي أقدم المصادر التي تضمنت معلومات عن المدارس التي ظهرت في مكة المكرمة في النصف الثاني من القرن السادس الهجري. وإذا علمنا أن هناك فارقاً زمنياً يزيد عن قرنين يفصل بين الفاسي وبين مدارس مكة الأولى أدركنا سبب قلة المعلومات عن تلك المدارس.

وتعد مؤلفات القطبي من أهم المصادر عن المدارس التي افتتحها العثمانيون بمكة المكرمة في القرن العاشر الهجري. فقد عاصر القطبي افتتاح المدارس السلطانية التي أنشأها السلطان سليمان القانوني، كما أنه عين معلما في إحدى تلك المدارس. وإذا انتقلنا إلى المدارس التي أسسها الشريف الحسين بن علي، وجدنا أن **صحيفة الفلاح** التي كانت تصدر بمكة المكرمة حينئذٍ؛ أفضل مصدر عن تلك المدارس كما يراها مؤسسها.أما **صحيفة أم القرى** التي صدرت في مكة المكرمة منذ بداية العهد السعودي؛ فهي أهم مصدر عن التعليم في أوائل العهد السعودي.

٤) المعلومات التي جمعها طلاب الصف الثالث ــ قسم التربية وعلم النفس للعام الدراسي ٩١ / ١٣٩٢ هـ.

وبعد أن فرغت من إعداد الكتاب، عرضته على السيد أحمد علي؛ المؤرخ، والمربي؛ ليلقي نظرة شاملة على فصوله، فوافق مشكوراً على ذلك. وقد قرأ الكتاب قراءة ناقدة؛ مبدياً ملاحظات مفيدة، فجزاه الله تعالى كل خير.

لقد صدر الكتاب للمرة الأولى عن دار الفكر في بيروت عام ١٩٧٢م. وعندما نشرت دار الشروق بجدة الطبعة الثانية عام ١٩٨٢م، فكرت في كتابة الجزء الثاني من تاريخ التعليم في مكة المكرمة. ومما يؤسف له أن الفكرة لم تنفذ؛ ولكن مما يثلج الصدر أن عددا من طلاب الدراسات العليا كتبوا رسائل جامعية عديدة في هذا المجال.

لقد استدركت في هذه الطبعة الأخطاء التي ظهرت في الطبعتين السابقتين، وأخرت ترتيب الفصل المتعلق بمدارس البنين الأهلية، وقدمت وأخرت في ترتيب بعض العناوين الفرعية داخل الفصول، وحذفت ما وجدته غير ضروري، وأضفت إلى قائمة المصادر كل مصدر ورد ذكره في الحواشي،

ولم يرد في قائمة المصادر في الطبعتين السابقتين،ونظمت الجداول بصـــورة أفضل؛ مما يجعل الطبعة الحالية أكثر دقة، وأحسن إخراجا.

أسأل الله جلت قدرته أن يجعل هذا الكتاب مفيدا لطلاب العلم ، وأن يحفـز الباحثين إلى القيام بدراسات أخرى تكمل ما به من نقص، وتعين على إيضـاح الصورة المشرقة للحركة التربوية في مهبط الوحي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٧ ربيع الثاني ١٤٢١هـ الموافق ٨ يوليو ٢٠٠٠م

د. عبدالرحمن صالح عبدالله

شكر وتقدير

لقد قابلت أثناء دراستي هذه عام ١٣٩٢ هـ الموافق ١٩٧٢م العديد مـــن رجالات التعليم في مكة المكرمة؛ بغية الحصول على الحقائق من مصادرهـــا الأولية. فإلى هؤلاء جميعا أقدم خالص الشكر، وأذكـــر منـــهم علـــى وجـــه الخصوص :

١) إبراهيم أمين فوده — أول مدير عام للإذاعة السعودية
٢) إبراهيم الشورى — مدير الثقافة برابطة العالم الإسلامي
٣) أحمد علي — مستشار وزارة المعارف بالمنطقة الغربية
٤) إسحاق عزوز — المشرف على مدارس الفلاح بمكة وجدة
٥) إسماعيل جمبي — سكرتير كلية التربية
٦) حسين عبد الغني فلمبان — مؤسس مدرسة الفتاة الأهلية
٧) سليم رحمة الله — مدير المدرسة الصولتية
٨) سعد عبد الله — رئيس قسم الامتحانات بمديرية تعليم البنات
٩) صالح إبراهيم خزامي — المدير المنتدب لكلية الشريعة

١٠)	د . عبد العزيز خوجة	عميد كلية التربية
١١)	عبد الله بغدادي	مستشار جامعة الملك عبد العزيز
١٢)	عبد الله خياط	مستشار وزارة المعارف بالمنطقة الغربية
١٣)	عبد الله الزيادي	مدير دار التربية الاجتماعية
١٤)	عبد الله المعلمي	مساعد أمين مكتبة الحرم المكي
١٥)	عبد الله خوجه	مؤسس مدرسة النجاح الليلية
١٦)	علي المغربي	مساعد مدير تعليم البنات
١٧)	علي عامر الأسدي	القائم بإدارة دار الحديث
١٨)	مصطفى عطار	مدير التعليم بمنطقة مكة التعليمية
١٩)	محمد علي أمان	رئيس قسم التعليم الأهلي بإدارة التعليم
٢٠)	محمد ياسين فادن	المشرف على مدرسة البنات الابتدائية الأهلية ومدير دار العلوم الدينية بالوكالة
٢١)	يحي العظمة	رئيس الشؤون الفنية بإدارة التعليم

obeikandl.com